

الإمام الخميني وحركة الصحوة الإسلامية

(الصفحات ٧-٣٢)

ملخص

إن الإمام الخميني إذ يتحدث عن الثورة الإسلامية في إيران وعن مزاياها وخصائصها ودوافعها، ومحركاتها ونتائجها وعوائقها وموانعها، فإنه إنما يتحدث عن مسيرة الصحوة الإسلامية عبر مصداق من مصاديقها وتطبيق أمثل لها في إيران، وهو بالتالي يبرز نظريته العامة في مجال الصحوة الإسلامية، وإلّا فما معنى التصدير؟ ومن هنا نجد - رحمه الله - يؤكد مثلاً أن ما نشاهده من تخطيط لضرب الثورة إنما هو تخطيط لضرب الإسلام والصحوة الإسلامية عمومًا، والقضاء على كل أمل للجماهير المسلمة في صياغة تشكيلة حكومية إسلامية في أي مجال آخر.

مقدمات

أولاً: إن الإمام، وإن كان شخصاً عظيمًا، إلا أننا هنا لا نبحث عن جوانب العظمة فيه بقدر تلمسنا لأبعاد رؤيته للواقع، وبرنامج لتطوير هذا الواقع، ومدى تحقيق هذا البرنامج واقعًا، أو مدى ما يمكن تحقيقه منه مستقبلاً، وذلك لكي نتخذة مثلاً وقدوة في مسيرتنا الجهادية، في مجال زرع بذور الصحوة أو إيجادها أو ترشيدها

* - الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

● الإمام الخميني وحركة الصحوة الإسلامية

في أي منطقة من عالمنا الإسلامي، أو بالأحرى من امتدادنا الإسلامي حتى في المساحات الأخرى.

ثانيًا: مما لا ريب فيه أنه (رحمه الله) كان يمتلك تصورًا متكاملًا عن قضية الصحوة بكل أبعادها، وهو ما يشهد له استقرار كلماته ومواقفه وخططه الثورية. فالمتتبع لكلماته في مطلع دخوله ساحة العن الكلامي، وقيامه بتأليف كتبه يشهد وحدةً في نمط الكلام من الوضوح والنفوذ إلى عمق المشكلة القائمة والتركيز على التركيبة الروحية للفرد والمجتمع - من جهة - وعلى سر المشكلة من جهة أخرى. والمتتبع لمواقفه يجدها وكأنها تشكل خطوات متتابعة مرسومة من قبل، تتناغم مع الظروف، وتتصاعد مع الحوادث، إلا أنها كلها يربطها خيط واحد، ولا أدل على ذلك من استعراض مواقفه من نفسية الشعب الإيراني، من جهة، والنظام الشاهنشاهي القائم من جهة أخرى.

وهكذا يمكن ملاحظة تخطيطه الحديث الذي سار بعملية التوعية الفكرية منذ البدء وحتى الختام، والذي استهدف إثارة الحماس الثوري بالمدى المناسب مع ما تسمح به الظروف المتغيرة والمناسبات الإسلامية، ومن ثم التخطيط لتحويل ذلك الحماس إلى فعل جماهيري حاشد مزق كل حسابات الكمبيوتر البشري، وبالتالي صنع أروع ثورة عرفها التاريخ المعاصر، حيث انفلت الشعب الإيراني المسلم من طوق الهيمنة العالمية عليه.

ثالثًا: إن الإمام يؤمن تمامًا بمبدأ «تصدير الثورة» وهو أمر لا يمكن أن ينكره أحد على الرغم مما حاوله بعض الناس مما يعبر عن انهزامية أمام النقود المطروحة. إلا أنه لم يكن ليقصد الصورة التحريفية التي منحها إياه الإعلام الغربي، أي صورة التصدير بالأسلحة وإيجاد الانقلابات العسكرية وما إلى ذلك. إنه كان يركز على الجانب الثقافي والحماسي في آن واحد، فهو يقول (حين يتحدث مع سفراء الأقطار الإسلامية بمناسبة عيد الفطر عام ١٤٠٠ هـ):

«إننا نعتبر الأقطار الإسلامية جميعًا جزءًا من وجودنا دون أن يعني ذلك أن تفقد

● محمد علي آذرشب

وجودها المستقل، وإنما نريد لها أن تتمتع بما تتمتع به الشعب الإيراني من مزايا الخلاص من برائن القوى الكبرى، وقطع أيديها عن منابعه الحياتية، نريد لهذه الحالة أن يتسع مداها لتشمل كل الشعوب، إننا نعني بتصدير الثورة أن تستيقظ كل الشعوب وكل الحكومات وتتخلص من قيود التبعية والتسلط»^(١).

وفي حديث آخر يقول رضوان الله تعالى عليه وهو يتحدث إلى سفراء الجمهورية الإسلامية:

«إننا ثرنا لنحيي الإسلام، ومن ثم لنصدر الثورة - بمشيئة الله - إلى كل مكان، ذلك اننا أخوة وأحبة، مما يزيد فينا الأمل للعمل سوية وبكل ما نستطيع لتعميم هذا الجهاد وتحقيق هذا الهدف»^(٢).

بل كان (قُدس سره) يرى أن بالإمكان تعميم هذا التصدير إلى كل الشعوب فيقول بمناسبة عيد الفطر عام ١٤٠٠ هـ:

«إننا إذ نعلن عزمنا على تصدير الثورة إلى كل الأقطار الإسلامية بل كل الأقطار التي يزرع فيها المستضعفون تحت نير المستكبرين، فإنما نريد من ذلك أن نحیی في الشعوب روح التحرك ضد المستكبر الفتاك، ونردم تلك الهوة بين الشعب والحكم المسلط عليه»^(٣).

فالتصدير - إذن - يعني «تصدير نموذج في إيران» وهذا يعني بدوره تصدير الخصائص المشتركة أو التي يمكن لها أن تمتد إلى أنحاء العالم الإسلامي، وتجريدها من المزايا المحلية الخاصة.

فهو يقول مخاطبًا مجموعة من الأخوة الباكستانيين في خريف عام ١٩٨٠:

«هل تتصورون أن هدف الخطط الاستعمارية هو القضاء على إيران؟ كلا إن الهدف هو القضاء على الإسلام، فليس الأمر يقتصر على قطر واحد فحسب، إنه يعم الأقطار الإسلامية جميعًا»^(٤).

ومن هنا جازلنا أن نعّم حديثه إلى مجموع العالم الإسلامي حتى ولو كان يتحدث عن الثورة الإسلامية في إيران وعواملها ونتائجها.

● الإمام الخميني وحركة الصحوة الإسلامية

رابعًا: إننا إذا شئنا أن نتعرف على منهج أو خطة أو أبعاد شخصية معينة فلا بد من تتبع أقوالها وأفعالها وتقريراتها، لنقوم - بعد التأكد من دلالاتها - باستنباط مجمل الأبعاد، ومعرفة أجزاء النظرية المتكاملة، وهذا بالضبط ما يجب أن نفعله عندما نحاول اكتشاف مذهب معين أو نظام عام للإسلام. ذلك أن علينا أن نكتشف هذا من خلال مجموعة النصوص النظرية أو المفهومية المطروحة، والأحكام المتفرقة المبنية على ذلك المذهب أو التي تشكل أبعاد النظام، وبالتالي أن نلاحظ نوع التطبيقات الفعلية التي قبلها الإسلام ونفذها في الحياة. وبنفس هذا الأسلوب نستطيع أن نكتشف أبعاد الشخصيات المنظّرة، ونعرف مجمل نظراتها إلى الواقع والحياة، وهذا ما نرجو أن نتبعه في دراستنا السريعة هذه، راجين التوفيق.

حقيقة الصحوة

قلنا إن أمتنا الإسلامية مرت بفترات زمنية طويلة، عمتها غفوة، وشملها تخدير وضياح مقيت، يهتزله القلب ألمًا. فالفهم الإسلامي الصحيح غير متوفر، إلا على صعد فردية محدودة المجالات، وحينئذ فمن الطبيعي أن لا تجد تعاليم الإسلام المحيية للنفوس مجالها الطبيعي المؤثر في القيام ببناء النفوس والمجتمع. والتجزئية؛ تعمل عملها الخبيث في تمزيق الفرد المسلم من كل الجهات، فهو ممزق في رؤيته الكونية، وقد أراد له الإسلام أن يتخذ رؤية واحدة تجاه الأشياء. وهو ممزق في شخصيته، حائر بين الالتزام بقوانين السماء والاتجاه مع الواقع الفاسد، والولاءات متعددة وآلهة التاريخ والتمدن، والعنصرية، والقومية، والوطنية، تمزق وجوده؛ هذه المفاهيم كلها سوف نشهدها في كلمات الإمام الخميني وهو يتحدث عن إيمانه بمستقبل الصحوة، ومظاهر الصحوة وثمارها، وعواملها وأسلوب ترشيدها والحفاظ عليها والأخطار التي تواجهها من قبل أعدائها. فمن الظواهر التي أكدها الإمام الخميني في كلماته، وسعى بجد لتحقيق

● محمد علي أدرشيب

الإيمان بها في ذهن الجماهير؛ موضوع الإيمان بمستقبل الصحوّة الإسلامية، بحيث لا تشوبه أية شائبة ولا يساوره أي شك في تحقيق هذا الغد المرتقب، وطبيعي أن الأمل الكبير يلعب دوره في تحريك الهمم نحو صنعه ويشد العزيمة على تحقيقه.

فنجده تارة يذكر بالوعد الإلهي الذي لا يتخلف مطلقاً، باعتباره قاعدةً لهذا الأمل الكبير، فيقول في رسالته التي وجهها بمناسبة قيام الجمهورية الإسلامية وذلك بعد أشهر من نجاح الثورة الإسلامية:

«إن الله تعالى قد وعد بانتصار المستضعفين على المستكبرين بتوفيقه ووعدده وجعلهم أئمة، وها هو الوعد الإلهي يقرب من تحقيقه، إننا لنا أمل أن نشهد نحن هذا التحقّق».^(٥)

وأخرى تنبأ بالانتصار حتى على القوى العظمى، فيقول في حديثه لمجموعة من أعضاء حركة أمل اللبنانية (أواخر عام ١٩٨٠):

«يجب أن نحذف من قاموسنا منطق الهزيمة القائل بأننا لا نستطيع الالتحام مع القوى الكبرى. إنكم إذا شئتم حققتم ما تريدون بإذن الله».^(٦)

ونجده (رحمه الله) تنبأ بسقوط المعسكر الشيوعي وأنهياره بسرعة وذلك قبل تحقّق هذا الانهيار الذي نشهده، فقد أرسل رسالته المشهورة لغورباتشوف في مطلع عام ١٩٨٩ وهي إحدى الرسائل النادرة التي بعثها إلى زعماء الدول، وقد قال له فيها بالحرف الواحد:

«إن البحث عن الشيوعية ينبغي أن يتوجّه من الآن فصاعدًا إلى متاحف التاريخ».^(٧)

وربما كانت هذه الرسالة من أعظم الوثائق التي تؤكد لنا أن المؤمن الصادق ينظر بعين الله تعالى فيفتح الله له آفاق الحقيقة.

ومن ثم نجده (رضي الله عنه وأرضاه) يركز عنصر الإيمان بنمو الانتفاضة الإسلامية في كل مكان، ويبشّر دائماً بانفتاح الآفاق أمام الصحوّة بعون الله.

● الإمام الخميني وحركة الصحوة الإسلامية

ففي عام ١٩٧٠ يجيب على رسالة للطلبة الجامعيين المسلمين في أوروبا فيقول:

«إنني - على الرغم من شيخوختي وعدم حصولي على ما كنت آمله - لآمل بكل ثقة أن تستمر شعلة هذه النهضة التي انطلقت في السنين الأخيرة بتأييد الله تعالى وأدت للتقارب بين العلماء والمثقفين».^(٨)

ويتحدث الإمام الخميني عن الثورة الإسلامية وانتصارها عام ١٩٧٩ فيقول: «لقد تحقق ذلك على الرغم من الحسابات المادية التي كانت تطرح استحالة أن تنهار قوة تقف القوى كلها مساندة لها، وحتى الحكومات المنتسبة للإسلام أيضاً كانت تقف موقف الدعم لها ولكنها انهارت بالتالي».^(٩)

ويقول في كتابه ولاية الفقيه الذي كان الموجّه الكبير لقيام الثورة الإسلامية: «أنت أيها الشعب إذا أصررت على الطريق المستقيم وقمت بالأمر فإنك ستمسك أزيمة الأمر بيديك، وستصدر منك الأمور وإليك تعود، وإذا تحققت الحكومة التي أرادها الإسلام فإن الحكومات الفعلية في العالم لن تستطيع الوقوف أمامها».^(١٠)

ويقول أيضاً مخاطباً الطلبة الجامعيين في أمريكا وكندا في ١٧ / رمضان / ١٣٩٥ هـ:

«إن نقطة الوضوح التي تزيدني في أواخر عمري أملاً تتركز في هذا الوعي واليقظة التي تسري في هذا الجيل الشاب، إنها روح سارية بكل سرعتها وهي بحول الله تعالى ستصل إلى نتائجها الحتمية فتقطع أيادي الأجنبي وتبسط العدالة الإسلامية».^(١١)

وفي بيان أصدره إلى عموم الشعب الإيراني في عام ١٩٧٢ - أي قبل سبع سنوات من الانتصار - يقول:

«إنكم تملكون طاقات شابة عظيمة تستطيع أن توصل الإسلام والبلاد إلى أوج العظمة والعزة وتقطع أيدي الجناة عن البلاد الإسلامية وبلدكم أنتم، تلك الطاقة

● محمد علي آذرشب

التي لو بذلت في طريق الحق لتحولت إلى طاقة أبدية واتصلت بالقدرة الإلهية الأبدية... فاستيقظوا وأيقظوا الغافلين.. عودوا أحياءً وامنحوا الحياة للأموات، وانطلقوا تحت لواء التوحيد لتطووا ملف الاستعمار بنوعيه الأحمر والأسود».^(١٢)

ويقول في لقاءه الضباط الباكستانيين أوائل عام ١٩٧٩:

«على المسلمين أن ينهضوا، فهم منتصرون في نهاية المطاف وسينتصرون.. وإن أمريكا لن تستطيع أن تقف في قبال المسلمين».^(١٣)

وهكذا نجده مطمئنًا واثقًا بمستقبل الصحة الإسلامية، ساعيًا بكل قوة وبمنطق سليم لتعميق هذا الإيمان في نفوس أبنائه الثوار.

ومن غريب الأمر أن الاستعمار حاول أن يتغافل عمق الصحة الإسلامية، ومدى اتساعها، بل الأغرب من ذلك أن نجد بعض المنتميين إلى المدرسة الرجعية يحاولون جاهدين إنكار حدوث صحة إسلامية مطلقًا.^(١٤)

والإمام يعتبر هذه الغفلة الاستكبارية تغافلًا يجب على المسلمين أن يردوا عليه ردًا عمليًا. فهو يقول في جوابه على الرسالة التي وجهتها إليه المنظمات التحريرية في أنحاء العالم والتي عقدت اجتماعها في الجزائر أوائل عام ١٩٧٩ ما يلي:

«إننا نعد عدم إدراك عمق النهضة الإسلامية في العصر الحاضر والجيل المعاصر أحد الأخطاء الكبرى للسيد كارترو أمثاله، وإن على الشعوب الإسلامية - عبر وحدتها الإيمانية المستمدة من الله - أن تخرج هؤلاء من غفلتهم.

فيا أيها المسلمون في أنحاء العالم ويا أيها المستضعفون الثائرون، ويا أيها البحر الإنساني اللامتناهي، انهضوا ودافعوا عن كيانكم الإسلامي والوطني».^(١٥)

ولكن لم هذا التغافل والتجاهل؟ الحقيقة هي أنه يستهدف أن لاتعي كل الجماهير حقيقة ما يحدث، وإلا فإن النهضة ستسري سريان العافية في العروق اليببسة، والنار في الهشيم، وهو ما أصر الإمام الخميني على توضيحه أمام الجماهير. إنه يقول في حديث له أمام عوائل الشهداء عام ١٩٨١:

«إن هؤلاء يرون حديث سقوطهم وفنائهم في كل مكان من العالم، فحتى

● الإمام الخميني وحركة الصحوة الإسلامية

السود في أمريكا يعلنون ذلك، إنهم يرون الإسلام قدرة متقدمة تعبئ بنفسها الشعب والأجنحة المتدينة والعناصر المظلومة. وإننا لندرجو بمشيئة الله أن يؤدي هذا الثورة المستضعفين في العالم للقضاء على القوى العظمى.. إنهم يخافون من هذا التحرك...»^(١٦).

وهكذا راح يستعرض مظاهر هذه النهضة والصحوة ليؤكد لها في وعي الجماهير:

أ - التحرك الإسلامي الواسع

من أهم المظاهر التي أكد عليها وعلى قوتها، هذا التحرك الجماهيري الإسلامي في عدة أماكن من العالم الإسلامي، ومنها هذه الثورة الإسلامية الكبرى في فلسطين. وكلنا يعلم أن الإمام عاش لهذه القضية وسخر لها طاقاته، وبقي وفيًا لشعاراته الواضحة حتى انتهاء حياته، وأوصى بها بعد وفاته. إنه أعلن أن إسرائيل - غدة سرطانية يجب اقتلاعها، وأن المسلمين قادرون - مهما عنتت أمريكا وإسرائيل - على القضاء على منبع الفساد هذا. وكم كان يتألم حينما يرى هذا التخائل والتراجع المستمر، وعلى أي حال فإن الإمام الخميني (رحمه الله) كان يأمل كثيرًا في هذه الصحوة الإسلامية في الجماهير الفلسطينية، وكان يعتبر ذلك سبيل الخلاص الوحيد، وملف القضية الفلسطينية في أقوال الإمام واسع جدًا لا يمكننا أن نستوعب حتى جزءًا يسيرًا منه.^(١٧)

إنه يعتبر يوم القدس يوم الإسلام، ويوم الحكومة الإسلامية التي ستسود العالم الإسلامي كله، يوم قهر القوى العظمى، ويوم انطلاقة المسلمين من عقابهم لإحقاق حقوقهم، ويوم الرد العملي على تغافل القوى الكبرى لحقيقة الصحوة الإسلامية.^(١٨)

ومن أنماط ذلك التحرك الواسع ثورة الشعب الأفغاني المسلم بوجه الطغاة الملحدين، بل وقوفه أمام القوة الشرقية العظمى بكل جبروتها وبمنتهى الضعف في السلاح والقوة في العزيمة، مما أدى في النهاية إلى انهيارها.

● محمد علي آذرشب

وهنا يخاطب الإمام الخميني كارتر قائلاً:
«من المستحسن أن يعتبر كارتر بأفغانستان: حيث الحكم المسلط يدعمه
الاتحاد السوفيتي والأحزاب الشيوعية واليسارية... إلا أن هؤلاء لم يستطيعوا أن
يخضعوا الشعب الأفغاني المسلم لإرادتهم»^(١٩).
ويقول في رسالته إلى حجاج بيت الله الحرام عام ١٤٠٤هـ
«لقد رد الشعب الأفغاني العدوان السوفيتي الغادر، عدوان تلك القوة
الأسطورية والجيش الضخم والحكم الغاصب والحزب الخائن، رده بقدرة الإيمان
والتوكل على الله العظيم والاعتماد على النفس بحيث يمكن القول إن الاتحاد
السوفيتي يعيش الآن الحيرة والندم على هجومه الظالم، وهو يحار كيف ينقذ
نفسه ويحفظ ماء وجهه»^(٢٠).

ب- انتفاء الأساطير الاستعمارية

ومن مظاهر الصحة الإسلامية هذا الوعي السياسي الكبير لحقائق الأمور
وانتفاء الأساطير التي حاول الاستعمار زرعها في النفوس من قبيل: أسطورة إسرائيل
التي لا تقهر، وأسطورة انحصار سبيل السعادة بأحد المذاهب الرأسمالي أو
الاشتراكي، وأسطورة «التخدير الديني» و«تضاد الاتجاه الديني والثورة» وأسطورة
انحصار السبيل بالمعسكرين دونما ثالث.
وهنا يقول الإمام الخميني (رحمه الله) في رسالته بمناسبة يوم القدس العالمي
في أوائل العقد الثامن من هذا القرن:
«إلى متى تسحر أسطورة الشرق والغرب الكاذبة المسلمين الأقوياء وتوحشهم
الأبواق الإعلامية الجوفاء»^(٢١) وفعلاً فقد حطمت الثورة الإسلامية هذه الأسطورة.

ج- معالم كبيرة أخرى

ومن يستعرض كلمات الإمام التي تركز على معالم الصحة الإسلامية يستطيع
اكتشاف الكثير من هذه المعالم:

- فهذا الاتجاه العام نحو تفهم الإسلام ومعرفة جوانبه الحياتية،
- وهذا الاتجاه الصارم للقطاعات المختلفة، وخصوصًا قطاع الجيل الشاب نحو
تطبيق الإسلام، على كل شؤون الحياة الاجتماعية والفردية، والنظر للإسلام كمنقذ
من كل المهالك والمشاكل التي تورطت فيها مسيرة الأمة. كل هذا بُعد الجهود
الكبرى التي بذلها الاستعمار لكي تنسى الأمة إسلامها.
يقول (رحمه الله) مخاطبًا مجموعة من حراس الثورة عام ٧٩:
«إن الإسلام كاد أن يُنسى وكادوا يقضون عليه، وكادوا يسحقون القرآن،
إلا أن ثورتكم يا شباب إيران، ونهضتكم يا أبناء الشعب الإيراني - وهي نهضة إلهية -
أحيت القرآن وأحيت الإسلام وأعطت الإسلام حياة جديدة»^(٢٢).
- وهذا التفهم الواعي لدور قوى الاستكبار العالمي، في التخطيط لإفناء
الشخصية الإسلامية ثم العمل على امتصاص دماؤها.
- وكذلك تفهم الطاقات الضخمة التي تملكها الأمة المسلمة، ونوع المرحلة
التاريخية التي تعيشها.
- وكذلك هذا الترابط الإحساسي والشعوري بين أفرادها، حتى ليهتز المسلم
اليوم في أقصى المعمورة لألم المسلم في الجانب الآخر منها.
- ثم هذا التخطيط الحثيث هنا وهناك لاستعادة المجد الإسلامي، وإقامة الدولة
الإسلامية الموحدة على كل الأرض الإسلامية.
- ثم هذا التخطيط العلمي الرائع للتقريب بين المذاهب الإسلامية وتطبيق قاعدة
«نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه».
.. ورغم اختلاف مستويات التخطيط فإنها تكشف جميعها عن التطلع والعمل
على صنع المستقبل.

- وهذه الحرارة الثورية المتصاعدة، والتي راحت تقض مضاجع اللصوص الكبار،
وتهز عروش العملاء الصغار، وتمزق أستار المتسترين والمتبرقعين، إنها حرارة
الخشوع والتضحية والفداء في سبيل العقيدة، وهي تستمد أوارها من انطلاقة

● محمد علي آذرشب

المسلم في الصدر الأول نحو الجهاد في سبيل إعلاء راية الاسلام، ناسياً دنياه ومنتعه، في سبيل متعة تحقيق الهدف السامي العظيم.

يقول الإمام الخميني في رسالته إلى الشعب عام ١٩٨٠:

«إنني لأخجل حقاً حينما أشاهد هذا الجيل الشاب الذي يطالبني - وهو في عنفوان شبابه - أن أدعوه كي يرزق الشهادة»^(٢٣).
ويقول أيضاً مخاطباً الشبان:

«أنتم ذخائر الإسلام، وإن هذا التحول الذي حدث بين شبابنا إنما هو صنع إلهي»^(٢٤).

- وأخيراً وليس آخراً؛ هذا الاتجاه الجماهيري نحو تعميم الأخلاق الإسلامية على المجتمع، ونفي مظاهر الطاغوت والعصيان، إذ رأينا الحجاب الإسلامي يسري سريان العافية في أوصال المجتمعات الإسلامية، ورأينا النفور من مظاهر الخلاعة والخمر والميسر وباقي العادات السيئة، وذلك يمثل ظاهرة إسلامية ضخمة. وأضححت المرأة المسلمة في طليعة الثائرين حتى قال فيها الإمام الخميني: «أنتن قدتن الثورة الإسلامية»^(٢٥).

يقول الإمام الخميني في حديثه إلى مجموعة من المحرومين في أواخر عام ١٩٧٩:

«إنكم إذا أمعنتم النظر فستجدون قادة القوى العظمى يعيشون الاضطرابات والقلق، إنه ليقلقهم أن تنطلق جماعة تعمل باسم الله ولا ترجو لإثوابه. إنها نعمة إلهية ولن نستطيع أن ندرك عظمة النعم الإلهية الخفية»^(٢٦).

كل هذه المظاهر أشار لها الإمام وعمل على تكرارها على مسامع العالم ليحقق غرض العزة والشعور بالكرامة والثقة بالمستقبل في نفوس جماهير الأمة، في حين يبعث الرعب في قلوب المستكبرين، وللعرب جيش لا يقهر، وله دوره الذي تحدثنا عنه الآيات القرآنية الشريفة في دحر العدو المحارب.

عوامل الصحوة

ومن يستعرض عوامل الصحوة الإسلامية المعاصرة كما يصورها الإمام الخميني (رحمه الله) ربما يحار في وضعها في سلسلة العوامل أو في سلسلة النتائج، إلا أن هذه الحالة حالة طبيعية، ذلك لأننا نتحدث عن ظاهرة اجتماعية تعيش مع الإنسان، فهي بالقدر الذي تصنع فيه تأثيرها تتأثر بدورها وتكبر وتقوى في نفس الوقت.

خذ على ذلك مثلاً عامل توفر القيادة الواعية الصبورة، فإنه عامل حاسم في صنع التغيير، إلا أن التغيير نفسه يهب القيادة وعياً أكبر وجلداً أقوى ونظرة أكثر خبرة لكي تواصل مسيرتها الطويلة.

وهكذا يمكن القول عن باقي العوامل، وهذا ما سنعرفه من خلال هذا البحث الشيق في كلمات الإمام الخميني وتصوراتهِ عن الصحوة المباركة.

وأهم ما لاحظنا من عناصره كالتالي:

- التأييد الإلهي.

- توفر القيادة الواعية.

- توفر مجموعة من العلماء والمفكرين المربين.

- تأهل الشعب لعملية التغيير.

- ظلم الطغاة.

- قدرة الإسلام نفسه من خلال تصوراتهِ وتعاليمه ومناسباته على صنع التغيير.

- الأماكن والمناسبات والشعائر الإسلامية وحسن استثمارها.

ولعلنا نجد أن هذه العوامل هي الأهم في صنع الثورة الإسلامية الأولى بقيادة الرسول الأكرم محمد (ص) فلقد كان التأييد الإلهي - قبل كل شيء - هو العامل الأهم، كما كانت شخصية الرسول (ص) صاحبة الأثر العظيم، في حين كان استعداد الأمة للعمل - وهو استعداد نما شيئاً فشيئاً - ذا أثر ضخم في صنع ذلك التحول التاريخي الكبير. وطبيعي أن الرسالة التي حملها أولئك المؤمنون كانت ذات

● محمد علي آذرشب

خصائص كبرى وفرت السبيل للنصر ودخلت إلى القلوب وتعمقت مع الجذور الإنسانية، ولعل الآية الشريفة التالية تشير إلى أهم هذه العوامل. يقول تعالى: ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين، وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾.^(٢٧) فلنستعرض إذن باختصار دور هذه العوامل في كلمات الإمام:

العامل الأول: تأييد الله تعالى

وهذه حقيقة أكدها الإمام مرارًا وأعلن أن الذي صنع هذه الصحة هو لطف الله ورحمته، وإننا لم نكن إلا وسائل لنزول هذه الرحمة الإلهية، ولعله لم يكن يخلو كلام للإمام من ذكر هذه الحقيقة، وهو ما شهدناه في بعض النصوص الماضية. وكمثال على ذلك يقول في رسالته إلى الطلاب في أمريكا عام ١٩٨٠: «إن الثورة الإسلامية بتأييد الله المنان تتسع على المستوى العالمي وهي بمشيئة الله سوف تجر القوى الشيطانية إلى التتوقع والانزواء».

العامل الثاني: توفر القيادة المطلوبة

وهذه بدورها حقيقة مهمة وما أكثر ما كانت بعض أنماط الصحة تتجلى هنا وهناك إلا أنها تؤول إلى الإضمحلال بسبب عدم توفر القيادة الكفوءة أو ضعف هذه القيادة، ومن هنا فالقائد دائماً هو المستهدف من قبل أعداء الصحة للتصفية الجسدية أو المعنوية، وكلنا يعلم دور الدعايات المشتركة ضد الرسول العظيم (ص) وأتباعه المخلصين.

وأول ما يشترط في القائد الإخلاص للقضية والتواضع الخلقى والعمل في سبيل تحقيق رضا الله، فهو روح العمل وسراستمراره وتوفيقه، وهو ينظر للواجب قبل أن ينظر لنتيجة العمل.

يقول الإمام الخميني في حديثه لسكان كردستان عام ١٩٧٩:

● الإمام الخميني وحركة الصحوة الإسلامية

«إلهي إنك تعلم أننا ما طلبنا في نهضتنا هذه سوى رضاك، وإنك لتعلم أننا ننفر من الظلم حتى ولو أصاب فردًا واحدًا». (٢٨)

ويقول لمراسل صحيفة بالتيمورسان قبيل نجاح الثورة:

«إنني بعون الله تعالى سأقوم بواجبي في خدمة الإسلام والمسلمين وسأستمر ما لم يكن هناك منع (إسلامي) للاستمرار». (٢٩)

وفي حديثه لوزير الداخلية والمحافظين في أواخر عام ١٩٧٩ يقول:

«إن علينا واجبًا يجب أن نقوم به وهو ما نفعله، والذين يعملون بواجباتهم ليس المهم لديهم النصر أو الهزيمة، فإذا انتصرنا فهو حسن، وإذا انهزمنا فقد هزم من قبلنا أمير المؤمنين والحسين ولكنهم قاموا بواجباتهم وها نحن نعمل بواجبنا». (٣٠)

وعندما يسأله مراسل التايمز اللندنية قبيل نجاح الثورة عن حياته الشخصية يجيب:

«حياتي الخاصة حادثة فردية من مجموع حوادث العالم ولا تحتاج إلى توضيح، أما عقيدتي فهي كعقيدة سائر المسلمين في تلك المسائل الواردة في القرآن الكريم والسنة الشريفة والقادة الصادقين، بعده، وروح هذه العقيدة وأهمها وأجلها عقيدة التوحيد». (٣١)

وعندما تحدث أحد النواب في مجلس الشورى بحضوره فأطرب في وصفه رد عليه قائلاً:

«إنني لأخشى أن تكون هذه الأقوال وأمثالها سببًا لحدوث حالة من الغرور والانحطاط لي وإني لاعوذ بالله - تبارك وتعالى - من الغلو، ولو كنت أعتبر نفسي حائزًا على مرتبة أعلى من سائر الأفراد فذلك انحطاط فكري وتسافل روحي». (٣٢)

ويقول في حديثه في لقائه بالطلاب الدارسين في الهند عام ١٤٠١هـ:

«إن علينا تحقيق مفاد الآية الكريمة ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾ وعلى الشعوب الإسلامية أن تحقق الحق في مجتمعاتها وتبطل الباطل». (٣٣)

ومن شروط القائد أن يكون شعبيًا متواضعًا يعيش مع الجماهير المسلمة ولها، ويفكر في ما يصلحها ولا ينزل عنها، كل همه خدمتها ورضاها، يعي آلامها ويعيش

● محمد علي آذرشب

آمالها، ويحكم قلوبها قبل أبدانها. وهو ما طبقه الإمام الخميني نفسه على حياته الشخصية والسياسية. يقول الإمام في رسالته إلى الشعب في عيد انتصار الثورة الأول:

«إن الأطباء منعوني من الاشتراك في عيد الشعب والغيور والجيش الإسلامي إلا أن قلبي مع الشعب الشريف، والجيش الإسلامي الوطني والحرس، ودعائي المتواضع يودعهم وسأبقى ما بقي في رمق من الحياة خادماً مضحياً في خدمة الجميع».^(٣٤)

ويقول في كلمته إلى الخطباء والعلماء في طهران عام ١٩٨١:

«إننا جميعاً رهن لمنة هذه الجماهير العظيمة. إنها تعطي كل شيء في سبيل الإسلام ولا تطلب شيئاً».^(٣٥)

ويقول قبيل الثورة وهو يقيم بباريس:

«إن شعبنا يعتبرنا خدماً للإسلام والوطن، والمسائل التي نطرحها كانت في ضمير هذا الشعب، ولذا فنحن نتحدث عن مطالب الشعب».^(٣٦)

ويقول مخاطباً الوفد المرسل للتحقيق في الحرب المفروضة وكان يضم بعض القادة الكبار عام ١٩٨٠:

«إنني أنصحكم أيها السادة وأنتم على رأس بعض الأقطار الإسلامية أن تسعوا لتحكموا القلوب لأن تحكموا الأبدان والقلوب عنكم بعيدة».^(٣٧)

وهكذا كانت سيرته العملية، فلم يكن شيئاً ولم يسكن قصرًا ولم يترك شيئاً يذكر. كانت حياته تتلخص في بيت مستأجر وغرفة صغيرة ومصحف وبعض الكتب المهداة، هذا وهو الرجل الذي يهدد القوى العظمى وينغص حياة الظلمة المترفين في أنحاء العالم. كان يعيش مع شعبه بكل وجوده، وهذا ما يشهد له به التاريخ.

ومن الأمور المشتربة في القائد بشكل طبيعي أن يتمتع بالأهلية العلمية، ذلك أنه يريد أن يقود تحركاً عقائدياً ويسعى لتطبيق منهج إنساني متكامل وأطروحة جامعة. وطبيعي أن القائد يجب أن يطبق الأطروحة على نفسه، كما يسعى للالتزام

● الإمام الخميني وحركة الصحوة الإسلامية

بتوجيهات الأطروحة ومناهجها في أسلوبه العملي حتى إذا ما انتصر راح يعمل على تطبيقها على الحياة الاجتماعية تطبيقاً ترضاه أدلتها ومنابع رؤيتها للواقع والحياة. وهذه أمور تتطلب أن يكون القائد متمتعاً بالصفات العلمية والخلقية العليا، وهي في الواقع ما يسمى بالأساس العقلي، أي الأساس الطبيعي لنظرية ولاية الفقيه، فلا بد لقيام الحكومة الإسلامية من وجود ولاية تسوّغ إصدار القوانين والتحديات التي تستتبعها هذه القوانين للحرية الأصلية للأفراد تحقيقاً لطموحات الرسالة ومصالح المجتمع، وهذه الولاية إنما تمنح للشخصية التي تتمتع بالقدرة الفقهية والسلوك الملتزم العادل والأهلية القيادية المطلوبة، ولسنا هنا بصدد الحديث عن أبعاد هذه النظرية الإسلامية الأصيلة بقدر ما أردناه من الإشارة إلى ضرورة تمتع القائد بهذه الصفة العلمية.

يقول الإمام الخميني في حديثه إلى الناس في أوائل عام ١٩٧٩:

«إلهي إنك تعلم أنني لا أدافع عن العلماء (ودورهم) لأنني منهم بل لأنني أعلم أن هذا الصنف من الناس هو الذي يستطيع إنقاذ الشعب».^(٣٨)

وكان من تأكيدات أن يتم الالتحام بين المجامع العلمية الدينية (الحوزات) والتي كانت المدرسة الفيزيائية مثلاً لها، والمجامع العلمية الحديثة (الجامعات الأكاديمية)، وذلك بعد أن عمل الاستعمار على إيجاد الهوة السحيقة المأوى بالتهمة والسخرية بينهما.

لذلك نراه يقول مخاطباً مجموعة من العلماء الدينيين والأساتذة والطلبة

الجامعيين في أوائل عام ١٩٨٠:

«لقد هدمتم ذلك السد الكبير بين ما نسميه بالفيزيائية والجامعة، إنها الخطوة الأولى والتي يجب أن تستتبعها خطوات فتعملوا على أن تكونوا مستقلين غير تبعيين... إن الأجيال الآتية يجب أن تعلم بضرورة وحدة هذين المركزين، وإنما يتم ذلك من خلال العلم والعمل. العلم والتهديب، يشكّلان جناحين لا يمكن الطيران بأحدهما فقط».^(٣٩)

● محمد علي آذرشب

وطبيعي أنه إذا تم الالتحام وقفت كل المجامع العلمية تسند القيادة علمياً وعملياً.

وعندما حاول بعض المفكرين الجامعيين النيل من مكانة الفقهاء وذلك قبيل نجاح الثورة الإسلامية عاتبهم الإمام الخميني قائلاً:
«لقد عمرتُ ثمانين عاماً وعشتُ ستين عاماً في الجامعات العلمية، ولي منذ حوالي ثلاثين عاماً اشتراك في مسيرة الأمور الاجتماعية، وأمامي هذه العقود الأخيرة بكل حوادثها، ومعنى ذلك أنني لا أفتقر للخبرة في هذا المجال، ولذلك فإنني أعلن من خلال معلوماتي عن مسيرة الإسلام منذ الصدر الأول وحتى اليوم، أن الذين حفظوا المسيرة الدينية بكل أبعادها هم العلماء».^(٤٠)

العامل الثالث: قيام العلماء بواجباتهم

وإدراكاً منه لدور العلماء نجده يتوجه إليهم ويذكرهم بدورهم في عملية النهضة الاجتماعية ويعمل على نفي العناصر العميلة والتي يسميها بوعاظ السلاطين، وهو مصطلح طرح من قبل على السنة بعض المفكرين الاجتماعيين إلا أنه كان معبراً عن روحية هذه الطبقة. وقد هاجمها الإمام الخميني بشدة وحذر الناس منها وطردها من المسيرة الاجتماعية.

إنه يؤكد في حديثه لأهالي مدينة قم في أوائل عام ١٩٨٠:

«لقد قلت مراراً إن العالم الذي يعمل خلافاً لشأن العلماء وتعاليم الإسلام ويتآمر علينا، هو أشد من السافاك، بل هو سافاك معمم... إن لي نفوراً من الكثير منهم ولا أؤمن بالكثير منهم...».^(٤١)

ويؤكد في كتابه ولاية الفقيه^(٤٢) قائلاً:

«إن ذلك الفقيه الذي يدخل في جهاز الظلمة ويعود من حواشي البلاط ويطيعهم ليس أميناً ولا يمكن أن يحمل الأمانة الإلهية، والله وحده يعلم مدى المصائب والمحن التي صبها علماء السوء هؤلاء على الإسلام».

● الإمام الخميني وحركة الصحوة الإسلامية

وفي قبال ذلك يؤكد الإمام الخميني في أماكن كثيرة وب تأكيد شديد على قيام العلماء بواجباتهم في سبيل دفع عجلة الصحوة إلى الأمام:

«لقد رأينا أناسًا كانت مجرد معاشرتهم وملاحظة سيرتهم تترك أثرها التنزيهي على الآخرين. إن عليكم أن تهذبوا أنفسكم إلى الحد الذي يترك سلوككم فيه وأخلاقكم وإعراضكم عن الدنيا أثره في إصلاح الناس، فيقتدون بكم، وتعدون أسوةً للأنام، ووجدنا الله، لتستطيعوا أن تعرفوا الإسلام، والحكومة الإسلامية. لا أريدكم أن تتركوا التفقه، بل عليكم الدراسة المتواصلة بكل جدية، وأؤكد على هذه المسألة. لا تخلوا الحوزات من الفقهاء، وما لم تتفقهوا فإنكم لن تستطيعوا أن تخدموا إسلامكم، إلا أن عليكم خلال دراستكم أن تعرفوا الإسلام للناس».

وبيضيف:

«إن تحطيم الطاغوت - أي القوى السياسية المنحرفة الحاكمة - في وطننا الإسلامي إنما هو من واجباتنا».^(٤٣)

وقبل أكثر من خمسة عشر عامًا من نجاح الثورة، كان الإمام الخميني يؤكد هذه الحقيقة:

«إن على علماء الإسلام الدفاع عن أحكام الإسلام المسلمة، واستقلال الأقطار الإسلامية، والنفور من الظلم وإسرائيل وعملائها وأعداء القرآن المجيد، والإسلام، والوطن... إن السكوت في هذا العصر في قبال الظلم إنما هو إغانة عليه».^(٤٤)

ويقول أيضًا (رحمه الله):

«إن الفقهاء يجب أن يقودوا الشعب ويمنعوا من اندراس معالم الإسلام وتعطيل أحكامه... إنهم اليوم حجة على الشعب تمامًا كما كان الرسول حجة على الأمة وكانت الأمور كلها موكولة إليه، فكل راد عليه محجوج، والفقهاء منصوبون من قبل الإمام عليه السلام حججًا على الناس».^(٤٥)

ولا ننسى هنا أن نشير إلى صفة كان الإمام القائد يؤكد عليها في القيادة، وهي صفة الشجاعة في قول الحق، وهي صفة تمتع هو بها في القمة إذ يقول مثلاً:

● محمد علي آذرشب

«إن رجال السلطة) يعاملونني معاملة العبيد في القرون الوسطى، إنني أقسم بالله العظيم بأني لا أريد حياة كهذه. (إنني لأرى الموت الاسعادة والحياة مع الظالمين إلا برما)^(٤٦)، ليتهم يقبضون عليّ حتى أعلم إنني قد أدت واجبي».^(٤٧)
ويقول (قدس سره):

«لقد أعددت قلبي لرماح عملائكم ولكنني لن أتقبل الخضوع أمام الجبابرة».^(٤٨)
والحقيقة هي أننا نستطيع أن نجعل من أهم عوامل الصحوة قيام العلماء بواجباتهم.

العامل الرابع: التحول الشعبي باتجاه الإسلام والمعنويات

والواقع أن عمل العلماء انصبّ على أن يستعيد الإسلام دوره في النفوس والعقول، وحينئذ فهو يتكفل بدفعها نحو سبل السعادة، بما يحمله من طاقات ذاتية، وإبداع متدفق يفجر طاقات الفطرة، ويستخرج مكنوناتها، ويستثير دفائنها، وإذا تجلت الفطرة النفسية على السطح الحياتي كان الفلاح كله.
والجدير بالذكر أن هؤلاء المفكرين لم يستطيعوا أن يحققوا ما حققوا إلا بعد أن حرروا نفوسهم من المتع الرخيصة، ونذروا أنفسهم للهدف، وتخلصوا من قيود التبعية للحكام الذين شكلوا - في فترة الغفوة - قيودًا ظالمًا، وما زال الكثيرون منهم يشكلون ذلك، وإلا بعد أن اتصفوا بالعملية والروح التغييرية الإسلامية معًا.
يقول الإمام الخميني (رحمه الله) عام ١٩٧٩:

«إن ما حدث في إيران من ثورة معلول لعاملين: الأول: - وهو الأهم من غيره - هو أن الشعب التحم مع الإسلام في مسيرته، بمعنى أن إيران من أقصاها إلى أقصاها كانت تطالب بالإسلام. والأمر الثاني: إن جميع الأصناف والقطاعات اتحدت وتلاحمت فيما بينها».^(٤٩)

ويقول في حديثه إلى بعض الجنود في نفس السنة:

«إن سرانتصارنا يكمن في أن نهضتنا لم تكن سياسية فقط أو لإنقاذ النفط من

● الإمام الخميني وحركة الصحوة الإسلامية

التبعية فحسب، وإنما كانت تمتلك بعداً معنوياً إسلامياً، شبّاننا كانوا يتمنون الشهادة ويستقبلونها تماماً كما كان المسلمون في صدر الإسلام».^(٥٠)
ويقول أيضاً:

«إن هذه الهدية الغيبية، وهذه الحرية، وهذا الخلاص من تحكم الظالمين، وهذا الاستقلال الذي منحنا الله إياه وقطع عنا أيادي الأجنبي إنما هو لقوة الإيمان ووحدة الكلمة والاتجاه إلى الله - تبارك وتعالى - حيث ألقيت يد العناية الإلهية على رؤوس هذا الشعب ظلها، وحققت هذا النصر، فلتحفظوا هذه الهدية الإلهية».^(٥١)

ويقول مخاطباً مندوبي السودان والأردن بعد عام من نجاح الثورة:
«إن على المسلمين أن يوجدوا التحول المطلوب؛ التحول من الخوف إلى الشجاعة، التحول من التوجه للدنيا إلى الإيمان وإلى الله، فإن منشأ كل الانتصارات أن نتحول إلى موجودات إسلامية إنسانية إيمانية كما أراد الله لنا».^(٥٢)
ومن الملاحظ هنا أن القائد الحكيم هو الذي يراقب مسيرة الثورة بكل دقة، فإذا ما حدثت حالة (الإقبال الثوري) لدى الأمة عمل على استثمارها على أفضل وجه، في سبيل تحقيق مصالح الشعب، وتصعيد الوعي لتحقيق الصحوة المطلوبة. ولنا من القرآن الكريم وعمل الرسول الأكرم والقادة خير الأدلة والتطبيقات لهذه القاعدة الأساس.

العامل الخامس: اشتداد ظلم الطغاة وتصاعد الهجوم الاستعماري

فان هذا العامل عندما يتصاعد، وبالخصوص عندما يتصاعد الإحساس الشعبي بهذا الظلم، يترك أثره في تحريك الجماهير نحو بذل الغالي والرخيص للخلاص منه، وتحقيق التغيير الاجتماعي المطلوب.

يقول الإمام الخميني (ره) في جوابه على رسالة رئيس عربي أواخر عام ١٩٧٧:
«إنّ الشعب الإيراني وبعد انقضاء المراحل الزمنية السود الملامى بالعنف، وبعد تحمل أزمة مرعبة، وفقدان الاستقلال، وضياع الشعائر الإسلامية والوطنية على

● محمد علي آذرشب

أيدي الجناة الذين تقف على رأسهم عائلة بهلوي المجرمة، وبعد مشاهدة كل ذلك السلب والنهب، وأنماط الخيانة اللامتناهية للمقدسات الدينية والوطنية، والذخائر الوطنية العظمى وفي طليعتها القوى الإنسانية والتراث الثقافي؛ هذا الشعب - وبمشيئة الله تعالى وتوكله على الإسلام والقرآن - عاد إلى ذاته وراح من خلال نهضته الإسلامية يتقدم كسيل عارم لتحطيم السدود الكبرى للاستعمار والاستبداد...»^(٥٣).

ويقول (رحمه الله) مخاطبًا مجموعة من عشائر محافظة «بويرأحمد»: «إن أحد العوامل التي حققت لكم النصر؛ هذا التصاعد في الظلم والإرهاب. ذلك أن الرعب والإرهاب عندما يطغى فإن الانفجار سيتبعه، ويتجمع الحقد الشعبي لتطلقه صرخة شجاعة، وفي إيران تجمعت هذه العقد النفسية وحصل الانفجار، والأهم من كل ذلك أن هذا الانفجار رافقه اتجاه نحو الإسلام، ولقد كانت صرخة الإيمان هي انطلاقة هذا التحرك»^(٥٤).

العامل السادس: الأماكن والمناسبات والشعائر الإسلامية وحسن استثمارها

وهذا عامل واسع الأبعاد بدوره، ذلك أن الإسلام - بمعنى من المعاني - يربّي الإنسان على أن يكون تغييرياً ثورياً دائماً لا يقبل مطلقاً بواقع فاسد. ومن أساليبه المهمة مسألة تعيين بعض الأماكن والأزمنة والشعائر لتمتلك زخماً معنوياً ثورياً يفوق الحالة الاعتيادية، ويعمل على إيجاد ضخ معنوي وحالة يقظة وصحوة، ويدفع نحو تحقيق المعاني الكبرى التي يريدها الإسلام.

فعلى الرغم من أن الله تعالى له ما في السماوات والأرض، وهو معكم أينما كنتم، إلا أنه شاء أن يعيّن بعض الأماكن وينسبها خصوصاً له بما يسمى (بيوت الله)، كما شاء أن يعين مكاناً معيناً له في الأرض ليكون بيته الحرام، وعلى الرغم من أن الزمان ملك لله تعالى وحده، لكنه شاء أن يعين شهر رمضان المبارك شهراً له، وعلى الرغم من أن الأيام كلها له، لكن هناك أياماً تثير الكثير من المشاعر لذا سميت أياماً لله،

● الإمام الخميني وحركة الصحوة الإسلامية

وهذه المحطات الزمانية والمكانية لها دورها الكبير في تحقيق عودة إلى الله وسرعة في العملية التغييرية.

والقيادة الواعية الحكيمة هي التي تستثمر هذه المناسبات الإسلامية لتحقيق التغيير المطلوب في مستوى الوعي والصحوة. وكم كان الإمام يردد: ان كل ما لدينا من عطاء ثوري إنما هو نتيجة عطاء شهر محرم والمجالس التي يعقدها المؤمنون لإحياء ذكرى ثورة الحسين بن علي (عليهما السلام).

وهو يؤكد في وصيته الخالدة قائلاً:

«وليعلموا أن تعاليم الأئمة عليهم السلام لإحياء هذه الملحمة التاريخية الإسلامية - ثورة الحسين (ع) - ... إنما هو بأجمعه صرخة بطولية شعبية بوجه الحكام الظلمة على مر التاريخ وإلى الأبد».^(٥٥)

وعن أثر المساجد يقول في أحد أحاديثه عام ١٩٧٩:

«إن كل الحركات الإسلامية منذ صدر الإسلام إنما استمدت انطلاقتها من المسجد، لقد كان المسجد محلاً لتعبئة القوى ضد الكفر والشرك، وأنتم باعتباركم من رواد المساجد يجب أن تحوّلوا المساجد إلى قواعد للإسلام وللحركة الإسلامية ليتم قطع أيادي الشرك والكفر وتأييد المستضعفين في قبال المستكبرين».

أما الحج فحدث عنه ولا حرج، ففي تصورات الإمام الخميني عن الحركة الإسلامية يحتل الحج الدور الأكبر، وكان يحرص (رحمه الله) على أن يحقق الحج دوره العظيم في صياغة المجتمع الإسلامي المؤمن العابد الموحد والمكافح ضد الطغيان.

ولقد كان يضمن أروع توجيهاته في رسائله المطولة التي كان يوجهها إلى الحجاج كل عام، وإننا لنعتقد أن هذا الجانب يحتاج إلى دراسة معمقة فاحصة لكي نصل إلى الأبعاد الكبرى التي كان الإمام يرمي إليها في هذا العمل الإسلامي الكبير. ولم تكن هذه النظرة وليدة نجاح الثورة الإسلامية، بل كان يبشّر بها قبل ذلك بسنين، فهو يؤكد في كتابه ولاية الفقيه على ذلك قائلاً:

● محمد علي آذرشب

«يجب استثمار هذه المجتمعات لأهداف الإعلام والتعليمات الدينية وتوسعة مدار النهضة العقديّة والسياسية الإسلامية».^(٥٦)

ولسنا نريد التوسع في هذا المجال، وتكفي نظرة سريعة على رسائله إلى الحجاج لنكتشف الأهمية البالغة التي أولاها الإمام لذلك.

ومن المناسبات الإسلامية الأعياد الكبرى باعتبارها يوم العودة إلى الله، وهنا يطلب الإمام من خلال تهانيه أن تدرك الجماهير أبعادها، وقد كانت انطلاقة الثورة الإسلامية الكبرى من يوم عيد الفطر المبارك، فلنلاحظ كيف يبارك الإمام الخميني مناسبة عيد الأضحى المبارك لكل المستضعفين قائلاً:

«أبارك هذا العيد الإسلامي الكبير لكل أولئك المستضعفين في العالم والذين ثاروا بوجه المستكبرين وأولياء الطاغوت».^(٥٧)

العامل السابع: نجاح الحركات الإسلامية والثورة الإسلامية الكبرى في إيران نفسها

فعلى الرغم من أن هذا العامل معلول للصحة المباركة إلا أنه بدوره يشكل أكبر العوامل لتوسعتها ونموها في كل العالم الإسلامي.

العامل الثامن: الدور الرائع الذي لعبته الحركات الإسلامية

في نشر التوعية والحماس الثوري بين أبناء الأمة.

وقد اختلف تأثير هذه الحركات على هذه المنطقة أو تلك، كما اختلف مستوى الوعي والحماس لدى هذه الحركة عن تلك، إلا أنها - جميعاً - قد أجمت الشوق الجماهيري نحو تطبيق الإسلام، وأوجدت شعوراً ذا مساحة معتد بها، بلزوم مقاومة مظاهر الطاغوت، والعودة للإسلام. وكثيراً ما رأينا الإمام يذكّر بدور المرحوم الأفغاني والمدرسي والنوري وحركة فدائيي الإسلام وغيرها.

وإنني لأعلم أن الكثير من أبناء هذه الأمة قد اهتدى بفعل تأثير هذا العامل، كما

● الإمام الخميني وحركة الصحوة الإسلامية

أعلم أن الكثير من المحاولات الاستعمارية والعميلة قد جرت لجرّ بعضها إلى سبيل الاحتواء، أو الانضواء تحت الرايات الخادعة، أو الاعتماد على نظم لا تمت إلى الإسلام بصلة، وطبيعي أن هذه المحاولات لا بد وأن ينكشف زيفها في أجواء الوعي السائد، وهكذا كان الأمر، وراحت حركة التوعية تقطع أشواطها الضخمة التأثير. وهنا أؤكد أن على القادة الإسلاميين أن يديموا دفع عجلة النهضة الفكرية والعملية، بكل ما يملكون من طاقة، بعد أن يحرروا وجودهم وفكرهم من سيطرة الطواغيت، والعمالة للأجنبي، فالتحرير الذاتي شرط أساس لعملية التحرير الاجتماعي.

وبالتالي فإن التذكير بهذه القضايا وتعميق الرؤية نحوها سوف يترك آثاره الإيجابية على استمرارية عملية الصحوة وديمومة النهضة الإسلامية. ثم إن عليهم عدم الانخداع بالنماذج التحريفية للإسلام التي يعرضها القشريون والمتنسكون كذبًا والمتطفلون على الإسلام.

يقول الإمام الخميني بهذا الصدد:

«إن المجتمع الإسلامي اليوم مبتلى بمجموعة من القشريين المقدسين كذبًا والذين يعملون على إيقاف مسيرة الإسلام والمسلمين، ويوجهون الضربات للإسلام باسم الإسلام نفسه».^(٥٨)

وهو خطر داهم يجب الوقوف ضده، فمن هؤلاء تنبع أفكار من قبيل:

إن الإسلام ليس إلا مجموعة تعليمات أخلاقية!

لا حكومة في الإسلام!

وإن علينا الصبر حتى ظهور الإمام المهدي (ع)!

يجب الفصل بين الدين والسياسة!

الإسلام ينسجم مع كل النظم الأخرى!

أحكام الإسلام فردية أما الشؤون الاجتماعية فمتروكة للناس!

لا توجد روح تغييرية أو ثورية في الإسلام!

● محمد علي أدرشيب

ليست هناك صحوة إسلامية!
لا مانع من فسح المجال للعدو الكافر كي يعيش في أوكار المسلمين، دفاعاً عن
بعض العروش!
وأمثال ذلك من السخافات التي لا نتعب أنفسنا في دفعها إلا أنها تستطيع أن
تترك أثرها السيئ في أذهان المسلمين.

الهوامش:

- ١- كتاب كلام الإمام: ج ١٥، ص ٣١٧.
- ٢- كلام الإمام: ج ١٥، ص ٣١٧.
- ٣- المصدر نفسه: ص ٣١٦.
- ٤- كلام الإمام، ج ١٥، ص ٤٦ - ٤٧.
- ٥- كلام الإمام ج ١، ص ٢٤.
- ٦- المصدر نفسه: ج ١٥، ص ٢٦١.
- ٧- مجلة التوحيد: العدد ٥٣، ص ٧.
- ٨- كلام الإمام: ج ٦، ص ٢٨.
- ٩- المصدر نفسه: ج ١٥ ص ٦٦.
- ١٠- كلام الإمام: ج ١٠ ص ٣١.
- ١١- المصدر نفسه: ج ١٠ ص ٦٩، ونداء الثورة، ص ١٩٨.
- ١٢- المصدر نفسه: ج ١٠ ص ٦٥ الخميني والثورة ص ١٠٢.
- ١٣- كلام الإمام: ج ١٥ ص ١٦٧.
- ١٤- حاول بعض المفكرين أن يعلن ذلك بصراحة في مؤتمر الفكر الإسلامي في الجزائر فتم التصدي لدعوته وفضحها.
- ١٥- كلام الإمام: ج ١٥ ص ١٦٧.
- ١٦- كلام الإمام: ص ٢٢١.
- ١٧- تراجع الكتب الكثيرة المؤلفة في هذا الشأن، ومنها الجزء ١٩ من كتاب كلام الإمام، وهو تحت عنوان: كلمات الإمام في فلسطين والصهيونية.
- ١٨- كلام الإمام: ج ١٩ ص ١٢٩.
- ١٩- كراس القيادة وأفغانستان: ص ٦ من حديث للإمام مع طلاب كلية الإلهيات أواخر عام ١٩٧٩.
- ٢٠- المصدر نفسه: ص ١١.
- ٢١- كلام الإمام: ج ١٥ ص ٣٢٠.
- ٢٢- كلام الإمام: ج ١٠ ص ٢٧٨.
- ٢٣- كلام الإمام: ج ٦ ص ١٠٦.

● الإمام الخميني وحركة الصحوة الإسلامية

- ٢٤- المصدر نفسه: ج ١٠ ص ١٣٩.
٢٥- المصدر نفسه: ج ٦ ص ٨٤.
٢٦- المصدر نفسه: ج ١ ص ٥٠.
٢٧- الأنفال: ٦٢ - ٦٣.
٢٨- كلام الإمام: ج ١٥ ص ١٨٧.
٢٩- المصدر نفسه: ج ٦ ص ٤٠.
٣٠- المصدر نفسه: ج ٦ ص ٦٠.
٣١- كلام الإمام: ج ٦ ص ٧٧.
٣٢- المصدر نفسه: ج ٦ ص ٩١-٩٢.
٣٣- المصدر نفسه: ج ١٥ ص ١٧٣.
٣٤- كلام الإمام: ج ٦ ص ٥٨.
٣٥- المصدر نفسه: ص ١٠٤.
٣٦- المصدر نفسه: ص ٢٩.
٣٧- المصدر نفسه: ص ١٨١.
٣٨- كلام الإمام: ج ٦ ص ٥٢.
٣٩- كلام الإمام: ج ٦، ص ٦٣.
٤٠- المصدر نفسه: ص ٧٣.
٤١- كلام الإمام: ج ٦ ص ٦٢-٦٣.
٤٢- المصدر نفسه: ص ١٩٩.
٤٣- ولاية الفقيه: ص ٢٠٣.
٤٤- بيان صادر بمناسبة الخامسة عشر من خرداد عام ١٩٦٣.
٤٥- ولاية الفقيه: ص ١٠٦ و ١١٨ وغيرهما.
٤٦- العبارة التي قالها الإمام الحسين (ع) في كربلاء قبيل استشهاده.
٤٧- بيان إلى الشعب عام ١٩٦١.
٤٨- في بيان صادر عام ١٩٦٢.
٤٩- كلام الإمام: ج ١٠ ص ١٤٧.
٥٠- المصدر نفسه: ج ١٠ ص ١٢٩.
٥١- كلام الإمام: ص ١٣٦.
٥٢- المصدر نفسه: ج ١٥ ص ٦٠.
٥٣- كلام الإمام: ج ١٠ ص ٨٠.
٥٤- المصدر نفسه: ج ١٠ ص ١٣٧.
٥٥- كلام الإمام: ج ١٥ ص ٧٩.
٥٦- ولاية الفقيه: ص ١٨٠.
٥٧- كلام الإمام: ج ١ ص ١١١.
٥٨- كلام الإمام: ج ١٥ ص ١٧٦.